

٢ - الاسلام والفنون الجميلة

للأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

رأينا مما تقدم أن الأديان السابقة على الإسلام إما استفادت من الفنون الجميلة في إيضاح عقائدها وتقريب مبادئها للأذهان ، وإما أنكرت هذه الفنون وقضت عليها ، أما الإسلام فوقفه منها يختلف جد الاختلاف عن هذين الموقفين : فهو لم يستخدم الفنون الجميلة في دعوته كما استخدمتها الوثنية والسيحية ، ولم ينكر هذه الفنون كما أنكرتها اليهودية ، ولكنه تضمن



كلمة « الله » محفورة على الحجر بمقدار
للثقة الصالحة لسجد الحاكم بأمر الله —
من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك

توجيهات مختلفة كان لها أبعاد الأثر في تكوين الفن الإسلامي بعضها إيجابى ، وبعضها سلبى ، وبعضها كانت بمثابة عوامل مساعدة

فلم نجد لها من سوء الحظ فهرستاً ؛ بل أحضر لنا دفاتر متعددة كل واحد منها يحتوى قسم منه على شيء من الكتب العربية غير مرتبة ولا مبنية فلم يتيسر وجود ما أردناه وحملنا ذلك على قلة طلب الكتب العربية فيها أو على أن طالبها غيرنا أعرف منا بمغلفاتها (١)

ويصف المكتبة العربية بالمتحف البريطاني بلندن فينتقد فهارسها غير المنظمة ؛ كما يصف مكتبة ليدن بهولاندة ويذكر في كل واحدة من هذه المكتبات بعض ما فيها من نفائس الكتب والمخطوطات .

محمد عبد الفتاح

(١) إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا

على رقي الفنون الإسلامية الجميلة ونضوجها . وسنبين فيما يلي هذه التوجيهات المتباينة لئلا نرى كيف استطاع الإسلام بنواحيه وأوامره أن يخلق فناً جميلاً له روعته وبهاؤه

ويتجلى لنا أثر التوجيهات الإيجابية في فنون الخط والزخرفة والمعمارة . أما فن الخط فقد حظى من عناية المسلمين جميعاً بنصيب وفير ، وكان للخطاطين عندهم مركز ممتاز لا ينالغ إذا قلنا إنه قد ناسى إلى مركز الملوك والأمراء إذ نزل هؤلاء إلى ميدان الخطاطين يتنافسونهم في صنعهم لا سميماً وراء الكسب المادى ، ولكن رغبة في الحصول على الفخر الأدبى ؛ فكانوا يكتبون بأيديهم نسخاً من القرآن الكريم يقدمونها للبقاع المقدسة . والذي أعطى للخط العربى هذه المكانة الممتازة هو اتصاله القوي بالقرآن كلام الله الذى نزل باللغة العربية على محمد صلوات الله عليه (وكذلك أنزلناه قرآننا عربياً) فالخط هو وحده أداة كتابة هذا الوحي فضلاً عن أن الحق جل وعلا قد أضاف تعليمه إلى نفسه (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم) ، كما أنه سبحانه أقسم به (ن والقلم وما يسطرون) . ومن هنا كان إقبال من اعتنقوا الإسلام على تعلم الخط العربى ، ومن هنا وجدت صلة من أوثق الصلات ربطت العالم الإسلامى ببعضه ببعض ، إذ توحد شكل الكتابة ، فصارت الهندية والإيرانية مثلاً نكتبان بالحروف العربية



قطعة نسيج قاطبة عليها سطران
متساكان بالخط الكوفي تقرأ في العلوي
« الحاسة بديماط » وفي السفلى « رب
العالمين » من كتاب الزخرفة المنسوخة في
الأقنعة الناطمية تأليف كاتب هذا البحث

هذا ولقد ظهر بظهور التصوف في الإسلام علم ينسب إلى الحروف العربية أسراراً خفية تمكن الإنسان من التأثير

في المخلوقات بواسطة « الأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار في الأكوان » ، كما يقول ابن خلدون في مقدمته . ولا يمتننا من أمر هذا العلم إلا شيء واحد ، هو أن هذه العقيدة قد دفعت بالمسلمين إلى زين ما أخرجته أيديهم من المصنوعات أو شيدوه من الهائر بالآيات القرآنية

والعبارات الدينية ، والصيغ المختلفة المدح أو الدعاء ، طلباً لما وراءها من الخير والبركة . ولقد كان لهذا أثر بعيد في فن الخط ، إذ أصبح مضروباً مشتركاً في جميع فروع الفن الإسلامي ، ونحكت المادة التي يكتب عليها في شكل الحروف ، فظهرت لها صور مختلفة على الآثار المختلفة ، وأصبحت على الحجر غيرها على الخشب ، وعلى النسيج غيرها على الخزف .

وفي الحق لقد كانت

إجادة الفنان المسلم لفن الخط بوحى من الإسلام ، ولم تنجل عبقريته الفنية في ناحية من نواحي الفن الجميل بقدر ما تجلت في هذه الناحية : خلق من تلك الحروف ذات الأشكال المتباينة والأوضاع المختلفة طرازاً زخرفياً تبدو فيه صور من الجمال شتى ، بعضها يفيض بالقوة ، وبمضما يفيض بالركة والأناقة ،

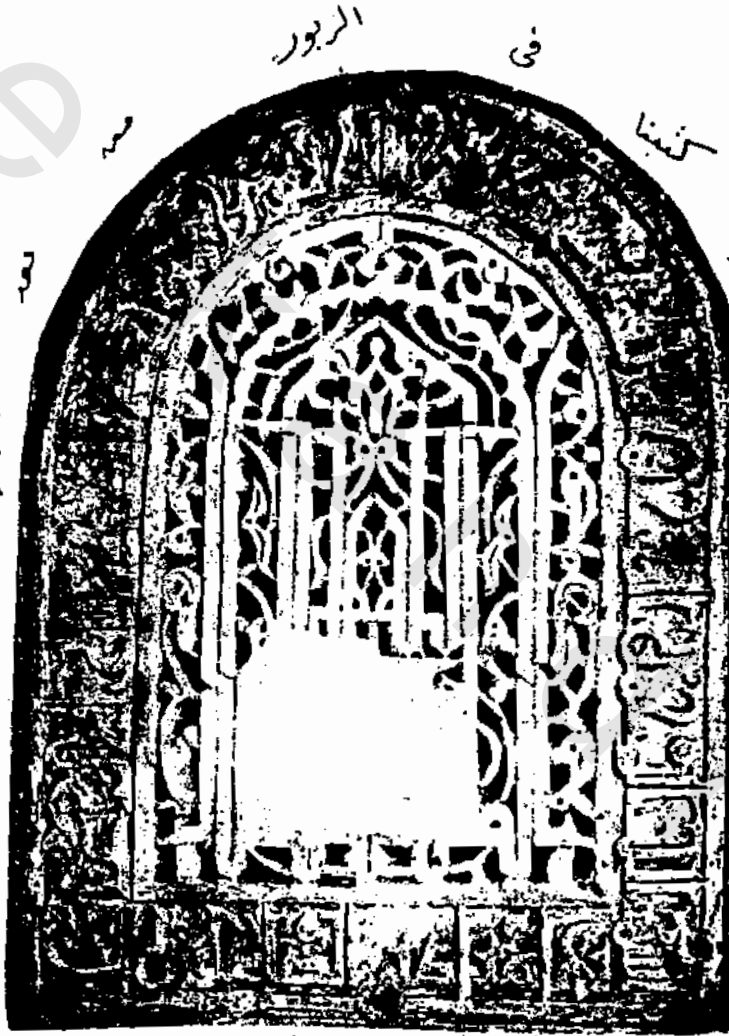
أوحت إليه الحروف العربية برؤوسها وسيقانها وأقواسها ومداتها بناصر زخرفية ما كاد يرسمها حتى بعثت فيه تلك اللذة البريئة التي يحس بها الفنان عند ما يشاهد أثره جميلاً ، فاندفع في هذا التيار بيتسكر الزخارف والنقوش ، غير أنه بما تفرضه عليه أصول الخط من المستلزمات ، ولا بما يسببه للقارئ - في بعض

الأحيان - من الإعنت ، بل كان همه أن يرضى الفن لحسب ، فتارة يجعل الحروف متجمعة كأنها شجرة كثيفة الأغصان وطوراً يرسمها متباعدة ، كأنها هيستان انتشرت فيه الأزهار ، وتارة يريك من التنوع الجميل بين الحروف القائمة والحروف المستديرة ما يفتزع منك الإعجاب انتراما ، ويرغمك على أن تقر له بالتفوق والنبوغ . ولشد ما كان يضحي على

مذبح الفن بالكثير من قواعد الخط ، ويتركنا تقاسي من الجهد شيئاً عظيماً حتى نهتدى إلى ما يريد ، وقد لانهتدى .

« يتبع »

محمد عبد العزيز مزروع
الأمين المساعد بدار الآثار العربية



من عمارات المصالح

نافذة بجوار القبلة بمسجد الحاكم بأمر الله في وسطها عبارة « الملك لله » مكتوبة طرذاً وعكساً من كتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك تأليف كاتب هذا البحث